

نظرات معاصرة في القرآن الكريم

(25) وهوؤلاء هم الناس ورسالته شاملة لأفرادهم، مستغرقة لأجناسهم دون اختصاص بقوم عن قوم، ولا أمة دون أمة، يعضده قوله تعالى: (وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلنَّاسِ وَلَا أُمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ، يعضده قوله تعالى: (وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " 107 ") (الأنبياء / 107، خلص لنا أنه رسول البشرية، وما إرساله إلا رحمة للعالمين، وهذا الإرسال يحمل في طياته ملامح البشارة الرضية المرضية، وصرخة النذارة الهادرة المدوية، ذلك ما يعلنه قوله تعالى: (إِن زَلَّاتِ أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا) البقرة / 119. ويؤكد قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا " 45 ") الأحزاب / 45. وهنا تضاف الشهادة إلى البشارة والنذارة لتتم حلقة الوصل العالمية في التدرج البياني ليصل إلى ذروته في التبليغ بقوله تعالى: (وَ أَرْسَلْنَاكَ لِّلنَّاسِ رِسُولًا وَ كَفَى بِيَائِسَةً) النساء / 79. وقد وضع القرآن تعالى على الناس ذاته القدسية شهيداً على هذا الإرسال العالمي. ثانياً: والمنطلق البارز في تشخيص عالمية القرآن نصاً ومضموناً تأكيد القرآن على خطاب الناس - كل الناس - في تعليماته الإلهية ؛ وهذا المنطلق يتحدث فيه القرآن إلى الناس في مختلف شؤونهم، ويدعوهم بعامة إلى الأخذ بالأصلح من الأنظمة ازاء تدوير الواقع البشري المتقلب ليقف به على مرفأ الأمان، ويستقر مستوياً بشاطيء الخلاص، وأول ما يدعوهم إليه سنن التوحيد المطلق في ظلال ملكوته قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ) البقرة / 21، يدعم ذلك الملحظ بالكتاب الذي أخرج كل الناس إلى النور. (الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.) (إبراهيم / 1. ويوجه هؤلاء الناس نحو القرآن باعتبارهم مضطرين له، فقراء إليه، وهو في غنى وعز ومنعة عنهم، يُحمد بغناه، ويعبد لآياته: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ " 15 ") فاطر / 15. وإذا كان الناس بهذه الفاقة، محتاجين ولا يحتاج إليهم، فحري بهم أن يتجهوا نحو القرآن في الشؤون والشجون والآمال، ولا يتكلموا على الأحلام والأمان، فوعد القرآن حق، ووعد غيره الغرور. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ) البقرة / 177. ولا يقف القرآن عند هذا الحد في تذكير الناس وتحذيرهم، وتقويمهم ومتابعتهم، بل يتسع في